

حَرْفُ الْجِيمِ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالظَّفَرِ

الأَمْنَازُ مُحَبُّ الْجِيمِ

جامعة درهام - بريطانيا

لقد سببت هذه التنويعات في اللفظ مشاكل شتى في اللغة العربية أخص منها مسألة الجيم كحرف من العروض القراءية، إذ كثيراً ما يعنون البعض من إبناء البلاد العربية وخصوصاً في العراق وسوريا إلى لفظ الجيم كصوت شمسي أي بادهش لام المعرفة في الجيم منه وقوهها في أول الكلمة فيقولون أجمل بدلاً من الجمل . ولا تقتصر هذه المشكلة على الصعوبات التي يلاقيها مدرسون اللغة العربية في تلك الأقطار بل تتمدأها إلى أحوال يرتكب فيها بعض الخطباء والمدعين هذه الأخطاء فيتعريضون بذلك إلى التشكيك من النقد واللوم . على أن هذا الميل للغزو الجيم كصوت شمسي لا يبعد أن يكون ميلاً طبيعياً تتطلب السهولة في اللفظ والجمال في النطق ، وهذا يدفعنا لكي نضع استفهاماً كبيراً عن سبب ابقاء الجيم بين العروض القراءية دون الاخذ بالاعتبارات الأخرى التي تحبط بهذه المسألة .

يشغل حرف الجيم مكاناً فريداً بين الحروف الأخرى بتنوع طرق لفظه في اللهجات العربية إلى درجة لا يكاد يطاهيه فيها أي حرف آخر ، فهو في الشام رخوا قريب إلى الشين لما فيه من تعطيش بالغ وهو في العراق أكثر شدة (1) ، فيه الرثى ثقيل من التعطيش أما في القاهرة فإنه يلفظ شديداً مجهوراً (2) على غرار ما يسميه البعض بالجيم القاهرة ، بينما نجده قد صار دالاً في بعض مناطق الصعيد المصري وباه منه بعض قبائل الكويت ، وجنوب العراق .

ومما يجدر ملاحظته أن هذه الظاهرة تشتمل العرفيين J و G في اللغات الأوروبية وما نظيرها الجيم في العربية . إذ إن الـ J يلفظ ياه في الألمانية وخاه في الإسبانية ، وهو في الانجليزية كالجيم المعرفة وفي الفرنسية كالجيم الشامية . كما أن الـ G يلفظ أحبانا في الانكليزية والفرنسية كالجيم القاهرة بينما يتخذ في أحبان آخر أشكالاً كالتى أسلفنا ذكرها .

(1) الصوت الشديد هو الصوت الانفجاري الذي يحدث بانحباس الهواء عند مخرج الصوت انحباس تاماً ثم انطلاقه فجأة عند افتتاح المخرج كالباء والثاء ، ومكنته الصوت الرخو .

(2) الصوت المجهور هو الصوت الذي يستوجب منه اهتزاز الوترتين الصوتين الثاء مرور الهواء بهما كالدال والفباء ، ومكنته الصوت المهووس .

ان الجيم التي نسمها الان من مجیدي القراءة هي اقرب الجميع الى الجيم الاصلية، ان لم تكن هي نفسها »⁽⁵⁾ . واقلب الفتن ان المعسود هنا بالجيم الاصلية هي تلك التي كان ينطق بها ابام الخليل وسيبويه اذ ان من الصعب افتراض جيم اصلية لم يسبقها تطور في اية مرحلة من مراحل التاريخ . ومهمما يكن من امر فان الارجع ان الدكتور ابراهيم انيس كان متفاوتاً في استنتاجه وانما في الواقع لا نزال بعيدين عن التوصل الى صورة اكيدة للطريقة التي كان ينطق بها حرف الجيم التي وصفها سيبويه قريبة من التي نسمها الان من مجیدي القراءة القراءية لوصفها ، كما وصف العين ، بانها بين الشدة والرخاوة ولما ابقاها بين الحروف الشديدة ، بل ان الجيم وردت كعنود للحروف الشديدة في الامثلة التي جاءت في المفصل للزمخشري اشراح ابن عبيشا . وحتى في القرن التاسع الهجري نجد ان ابن الجوزي يعتبر الجيم من بين حروف التلقلة ⁽⁶⁾ وهي الحروف الشديدة المحبورة . وانا لا استبعد ان يكون تطور الجيم نحو شيء من الرخاوة نوماً من الحرس للبقاء على جهراً وهي بهذا تختلف مما هو أكثر شيوعاً وهو البقاء على الشدة والتتطور من الجهر نحو المنس .

وهناك دلائل تشير الى ان وضع الجيم لم يكن على درجة كبيرة من الاستقرار منذ تلك الابام وان هناك ميلاً للانحراف بمخرج الجيم الى مخارج فريبة سيبويه يكشف ذلك بقوله »... و تكون الثين واربعين حرفنا بحروف غير منسخة ولا كثيرة في لغة من ترتضي عريبتنه ولا تستحسن في قراءة القراءان ولا في الشعر وهي الكاف التي بين الجيم والكاف والجيم التي كاكاف والجيم التي كالثين والصاد الشعفية »⁽⁷⁾ كما نجد ان ابن الجوزي بعد ذلك بعده قررون ينصح بالتحفظ باخراج الجيم من مخرجها » فربما خرجت من دون مخرجها فيتشير بها اللسان فتصير ممزوجة بالثين كما يفعله كثير من اهل الشام ومصر وربما بما اللسان فاخراجها ممزوجة بالكاف كما يفعله بعض الناس وهذا

يقول سيبويه » ولا المعرفة تدغم في ثلاثة عشر حرفاً لا يجوز معهن الا الادفام لكثرة لام المعرفة في الكلام وكثرة موافقتها لهذه المعرفة واللام من طرف اللسان وهذه المعرفة احد عشر حرفاً منها حروف طرف اللسان وحرفان يغالطان طرف اللسان ... والحادي عشر حرفاً التون والراء والدال والثاء والصاد والطاء والزاي والسين والظاء والثاء والدال واللدان خالطاها الصاد والشين » ⁽³⁾ . وبغض النظر من السبب الذي جعل سيبويه لا يذكر اللام نفسها بين هذه المعرفة الا ان المعرفة الباقية وهي التي اصطلاح على تسميتها بالمعرفة القمرية لا تدغم فيها لام المعرفة ويجمعها فولك اينج حجل وخف قيمه .

واود في معرض هذا الحديث ان اؤكد الفرق بين حالي المعرف المشار اليه هنا ، الاول كرم مكتوب تحفظه الكتب من التبيير عبر المصور والثانية كلغط مسموع تم يكن هناك من وسيلة لحفظه قبل ظهور اجهزة تسجيل الصوت الحديثة . فالخلط بين الرموز واللغط امر يجب تجنب الوقوع فيه في حكمنا على الجيم وفيها في وقتنا الحاضر ، اذ على الرغم من ورود الجيم كحرف قمري منه بهذه اهتمام العرب بعلم الاصوات الا اننا لا نزال في متادين من الطريقة التي كان يلفظ بها هذا الحرف عند قدماء العرب ، فقد جاء من الخليل بن احمد الفراهيدي في كتاب العين ان الجيم والشين والصاد شجورية لأن مبداهما من شجر الفم اي مفرج الفم ⁽⁴⁾ ، اما سيبويه فقد كان اكثر تصفيلاً الذي يخبرنا ان من وسط اللسان يenne وبين وسط الحنك الاعلى مخرج الجيم والشين والباء ، كما انه وصف الجيم بانها من الحروف الشديدة المحبورة ، بهذه الاوصاف رغم اعطائهما فكرة جيدة عن طريقة لفظ هذا الحرف في ابام الخليل وسيبويه الا انها غير كافية لتدلنا على اللغو بحداته .

وقد كانت هناك اكبر من محاولة من قبل المتندين بعلم الاصوات في وقتنا الحاضر لاستنتاج الطريقة التي كان ينطق بها هذا الحرف عند قدماء العرب نجد الدكتور ابراهيم انيس يقول » ويظهر

(3) الكتاب، الجزء الثاني صفحة 416

(4) العين صفحة 2

(5) الاصوات اللغوية صفحة 65

(6) «النشر في القراءات المشر» الجزء الاول صفحة 203

(7) الكتاب الجزء الثاني صفحة 404

ادغام لام التعريف في المعرفة التسمية يتم بالدرجة الأولى نتيجة الافتضاد في الجهد المضلي . وهو امر سلم به منه القدم كما يعبر عنه سببوبه بقوله « ليكون عمل اللسان من وجه واحد » . فالعرف التسمية كلها امور ذات مخارج لسانية قريبة من مخرج اللام وهذا يسبب تأثير الصوتين بالمحاورة وبالتالي ادغام لام التعريف وفناها في العرف التسمية الذي يليها . بينما لو استمر فنا المعرفة القراءية لوجدنا ان اللسان لا يستعمل الا في نطق ثلاثة منها وهذه بعيدة عن مخرج اللام على اي حال ، اما الجيمان النامية والعرافية للبرهنة على انهم ينتهيان الى مجموعة الامور التسمية البك اختبارا بسيطا :

ضع لسانك في الوضع الطبيعي للفظ صوت اللام وابق لسانك في هذا الوضع ولكن بدلا من لفظ اللام فقط عبارة ابغ حجت وخف مقبه . وهي العبارة التي تجمع المعرفة القراءية كما اسلفنا . ستجد انك تستطع لفظ العبارة كلها بوضوح فيما مدار الجيم اذا كانت شامية او عربية .

ان هذا الاختبار على يساره يربنا كيف ان عمل اللسان في لفظ اللام يكون « من وجه واحد » مع الجيمين وبذلك كان ادغام لام التعريف بهما متينا . وبصورة عامة فان هذا الاختبار يعطينا طريقة مباشرة لتقدير اهلية الصوت اللغوي لادغام لام التعريف به اي للحكم على كون الصوت شميا او قريبا .

وبناء على كل ما نقدم فانني لا ارى اي مبرر للأصرار على ابقاء الجيمين النامية والعرافية في ضمن الامور القراءية وقد حان الوقت لكانة الذين يعادفهم هذه المشكلة ان ينقلوا الامر على اساس من النطق . اما الذين يستشهدون بسببوبه ذكر لهم انه ائما كان يتحدث عن رمز معين لا دليل لنا اليوم كيف كان يلقطه ، واتي على يقين انه لو كان سببوبه اليوم جيما يتنا لوضع الجيمين النامية والعرافية مع الواني « لا يجوز معهن الا ادغام » .

موجود كثيرا في بوادي اليمن ⁽⁸⁾ . على ان ابن الجوزي لم يكن بنفسه والقا من مخرج الجيم الحقيقي حيث يقول « للجيم والشين المعجمة والباء غير المدية من وسط اللسان بينه وبين الحنك ويقال ان الجيم قبلهما وتال المهدوي ان الشين تلي الكاف والجيم والباء يليان الشين وهذه هي المعرفة الشجرية » ⁽⁹⁾ . وعلى كل حال فان ابن الجوزي يختلف هنا عن بعض اسلامه من امثال ابي علي القالي المولود في اواخر القرن الثالث الهجري والذي اعتبر ان مخرج الجيم يلي مخرج الفاء .

ان ما سبق يشير الى ان ثمة تطورا ما قد ساهم بظهور الجيم طوال هذه المدة وان الجيم التي وصلتنا تختلف بكل اشكالها الحالية من نظيرتها لدى الخليل فلا مجال ان نجد الدكتور مهدي المخومي يخبرنا في كتابه عن الخليل بان المحدثين يخالفون الخليل وسيبوبه بالنسبة لخارج المعرفة الشجرية اذ هم يعدون مخرج الباء والجيم من بين مقدم اللسان وستق الحنك الصلب والشين من بين اسفل اللسان او ما يليها وبين حافة الاسنان . وانا استبعد جدا ان يكون اختلاف الخليل وسيبوبه من جيلنا مثلا عن خطأ منهما وما هذا الاختلاف الا نتيجة حتمية لتطور الجيم ودليله كافيا على انا ما زلنا بعيدين من جيم القرن الثاني الهجري .

وها نحن اليوم ننطق بجم عربية ⁽¹⁰⁾ وهي قريبة جدا لاسمه من مجده القراءة القراءية ⁽¹¹⁾ وآخرى قاهرية ⁽¹²⁾ وثالثة شامية ⁽¹³⁾ ورابعة تطلق باء الغ .. الحدرات الينا كلها بهذه التسميات بفضل عوامل معينة لا تبعد ار تكون هي نفسها التي سببت تشبع نظيرات الجيم في اللغات الاوربية . الا ان المهم في هذا البحث هو موضوع ادغام لام التعريف في الجيمين اللذين اسميتهم بالشامية والعرافية نظرا لان الملايين من الناطقين بالعربية يستعملونهما كل يوم . وعندهم تكون الجيم شمية اذا تكلموا بها بصورة عادية وتكون قرية اذا تكلموا اللفظ واستعملوا الفصاحة نزولا من قانون سن منذ التي هشر قرنا خلت فتغيرت الجيم وبقى القانون .

8، النثر في القراءات المشر ، الجزء الاول صفحة 217 .

9، المصدر السابق من 200 .